سعيد بن المسيب

سعيد بن المسيب

أعـلام التابعيـن

سعيد بن المسيب

سيد التابعين في زمانه ومقدّمهم أمانة في نقل السنة عن الصحابة، وفقهاً في دين الله عز وجل وزهداً في الدنيا، وصدعاً بالحق واستعلاءً بالإيمان والعلم على حطام الدنيا، ورهبة السلطان. قال الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم، فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب، أما الإمام احمد فيقول: سعيد بن المسيب أفضل التابعين، وقال علي بن المديني: إذا قال سعيد: مضت السنة فحسبك منه، وهو عندي أجل التابعين.

أدرك سعيد بن المسيب منذ نعومة أظافره أنه لا يوجد مصيبة أعظم من الجهل يمكن أن تلم بحياة الإنسان، فأنفق عمره في تحصيل العلم يقول في ذلك عن نفسه (إني كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) وفى كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي فسمع من عثمان، وعليٍّ وزيد بن ثابت وسعد بن أبى وقاص وعائشة، وأبى موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعا كما كان زواجه من ابنة الصحابي أبى هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبى هريرة رضي الله عنه كما رأى سعيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان مغرما بتتبع أقضية عمر وتعلمها حتى قيل له: (راوية عمر) وكان عبد الله بن عمر يرسل إليه يسأله عنها قال أبو طالب: قلت لأحمد بن حنبل سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟ قال هو عندنا حجة، قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟!.

ومع طول المثابرة في تحصيل العلم صار سعيد عالم أهل المدينة بلا مدافعة وإمام فقهائها السبعة الذين كانوا الواصل الحقيقي بين عصر الصحابة وعصور المذاهب الفقهية المختلفة فيقول: (ما أحد أعلم بقضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر منى).

وقال عنه قتادة: ما رأيت أحد أعلم من سعيد بن المسيب.

وعن مكحول قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم، فما لقيت أعلم من سعيد.

وسأل رجل القاسم بن محمد عن شيء فقال: أسألت أحدًا غيرى؟ قال: نعم، عروة وفلانا، وسعيد بن المسيب فقال: أطع ابن المسيب، فإنه سيدنا وعالمنا.

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشيء يشكل عليه يقول: سلوا سعيد بن المسيب، فإنه قد جالس الصالحين.

وروى الربيع عن الشافعي أنه قال: إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن. وقال الإمام أحمد هي صحاح وقال: سعيد بن المسيب أفضل التابعين.

وقال علي بن المدينى: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه: وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، وهو عندي أجل التابعين.

وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه.

ولئن لم يترك سعيد آثارا مكتوبة على عادة علماء ذلك العصر لندرة وسائل الكتابة فإنه قلما نجد كتابا في الفقه أو التفسير أو الحديث التي كتبت في عصر التدوين إلا وآراء سعيد واجتهاداته مبثوثة في ثنايا مباحثها.

قال عمر بن العزيز (إن مصدر العلم سعيد وما كان عالم بالمدينة إلا يأتينى بعلمه).

وبالإضافة إلى تميزه في العلوم الشرعية والآداب الربانية برع إمام التابعين في علم تعبير الرؤيا أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر، وأخذته أسماء عن أبيها رضي الله عنهم، وتُروى في براعته في التعبير مواقف رائعة.

منها: ما رواه ابن سعد في الطبقات عن عمر بن حبيب بن قليع قال: كنت جالسا عند سعيد بن المسيب يوما وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين، فجلست إلى ابن المسيب ما أدرى أين أذهب فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، إني رأيت رؤيا قال ما هي؟ قال: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ثم بطحته، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد قال ما أنت رأيتها قال: بلى أنا

رأيتها قال لا أخبرك أو تخبرني قال: ابن الزبير رآها وهو بعثني إليك قال: لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة قال عمر بن حبيب الراوي: فدخلت إلى عبد الملك بن مروان، بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسره وسألني عن سعيد، وعن حاله فأخبرته وأمر لي بقضاء ديني وأصبت منه خيرا.

وعن مسلم الخياط قال: قال رجل لابن المسيب: إني أراني أبول في يدي فقال اتق الله، فإن تحتك ذات محرم فنظر فإذا امرأة بينها وبينه رضاع.

وقال له رجل: إني أرى في النوم كأني أخوض النار، فقال: إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر وتموت قتلا، قال الراوي: فركب البحر فأشفى على الهلكة وقتل يوم قديد بالسيف.

وكان ابن المسيب آية في الصلاح والتقى وإيثار الآخرة على الدنيا التي لا تساوى عند الله جناح بعوضة فلقد ألزم نفسه التقلل من حلالها والإعراض عن حرامها وحطامها يقول ابن كثير: (كان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعنى ومن أكثر الناس أدبا في الحديث جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع.

وقال برد مولاه: ما نودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد.

وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة).

ولقد بلغ حب العبادة شغاف قلبه فلم يفتر عنها لا في سراء ولا ضراء فيقول رحمه الله: (ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة).

وعن بشر بن عاصم قال: قلت لسعيد يا عمى ألا تخرج فتأكل الثوم مع قومك؟ فقال معاذ الله يا ابن أخي أن أدع خمس صلوات وقد سمعت كعبا يقول وددت أن هذا اللبن عاد قطرانا اتبعت قريش أذناب الإبل في هذه الشعاب إن

الشيطان مع الشاذ وهو من الاثنين أبعد.

واشتكى يوما عينه فقالوا له لو خرجت يا أبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفه قال فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح.

وها هو العابد حتى في أحلك المواقف فعن أبى حازم قال سمعت سعيد بن المسيب يقول لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد أحد من خلق الله غيري وإن أهل الشام ليدخلون زمرا زمرا يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت أذانا في القبر ثم تقدمت فأقمت فصليت وما في المسجد أحد غيري.

ويؤثر عنه أنه حج أربعين حجة وما ترك الدعاء والقيام منذ عرف الإسلام حتى لقب (براهب قريش) وكان يكثر من قول: (اللهم سلم سلم) فإذا دخل الليل خاطب نفسه قائلاً: (قومي يا مأوى كل شر والله لأدعنك تزحفين زحف البعير) فكان إذا أصبح وقدماه منتفختان يقول لنفسه: (بذا أمرت ولذا خلقت) ومع ذلك لم تكن العبادة عنده مرادفة للقيام والقعود فعن مالك بن أنس قال: قال برد - مولى ابن المسيب - لسعيد بن المسيب ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء قال سعيد: وما يصنعون؟ قال يصلى أحدهم الظهر ثم لا يزال صافا رجليه يصلى حتى العصر فقال سعيد: ويحك يا برد! أما والله ما هي بالعبادة تدرى ما العبادة؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله والكف عن محارم الله.

كما كان رحمه الله يكره كثرة الضحك، ويصوم الدهر ولا يفطر إلا في أيام التشريق بالمدينة.

ومن مواقفه المضيئة أنه أدركه رجلاً من قريش ومعه مصباح في ليلة مطيرة فسلم عليه، وقال: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ قال: أحمد الله فلما بلغ الرجل منزله دخل وقال: نبعث معك بالمصباح قال: لا حاجة لي بنورك نور الله أحب إلى من نورك، وكان يقول رحمه الله (لا تقولن مصيحيف ولا مسيجيد، ولكن عظموا ما عظم الله، فكل ما عظم الله فهو عظيم حسن). ويقول: (ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها بمثل بمعصية الله، وكفى بالمؤمن نصرة من الله عز وجل أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله).

أما الدنيا فمالها وسعيد بن المسيب فلقد كان يعيش من كسب يده لـه أربعمائـة دينار يتجر بها في الزيت ويقول عن هذا المـال (اللهم إنك تعلم أنـى لـم أمسكه بخـلا ولا حرصـا عليـه ولا محبـة للدنيا ونيل شـهواتها وإنمـا أريـد أن أصـون بـه وجهي عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم وأصل منه رحمـي وأؤدي منه الحقوق التي فيه وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجـار) وكان له في بيت المال بضعة وثلاثون ألفا من الدراهم عطـاؤه تراكمت بسبب رفضه قبولها فكان حين يدعى إليها يأبى ويقول: (لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بنى مروان).

قال يحيى بن سعيد: دخلنا على سعيد بن المسيب نعوده ومعنا نـافع بـن جبير فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثـلاث فكلموه فقال نـافع بـن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا ممـا يصـلحهم، فلـو أكلـت شيئاً قـال: كيـف يأكل من كان على مثل حالنا هذه؟! بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة، فقال نـافع: ادع الله أن يشفيك فإنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد.

وعن داود بن أبي هند قال: تمثل معاوية عند الموت:

هو المـوت لا منجـا مـن المـوت والـــــــــــــــــــذي :: نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم فأقل العثرة وعـاف من الزلـة، وجد بحلمك علـى جهل من لـم يرج غيرك ولـم يثـق إلا بـك، فإنك واسـع المغفرة، ليس لـذي خطيئـة مهـرب إلا أنت؛ قال: فبلغني أن هذا القول بلغ سعيد بن المسيب فقال: لقد رغب إلـى من لا مرغوب إليه مثله، وإني لأرجو ألا يعذبه.

ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث بلحيتـه فـي الصـلاة فقـال: لـو خشـع قلبـه خشعت جوارحه.

قال علي بن زيد: رآني سعيد بن المسيب، وعلَـيَّ جبـةُ خزّ، فقـال: إنـك لجيـد الجبـة، قلت: ومـا تغنـي عنـي وقـد أفسدها علـيَّ سالم؟! فقـال سـعيد: أصـلح قلبـك والبس ما شئت.

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله.

قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص.

عن ميمون بن مهران أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة فاستيقظ من قائلته، فقال لحاجبه: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حُدّاثي؟ فلم يرَ فيه إلا سعيد بن المسيب، فأشار إليه بأصبعه، فلم يتحرك سعيد؛ ثم أتاه الحاجب فقال: ألم تر أني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ فقال: استيقظ أمير المؤمنين فقال: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي؟ فقال سعيد: لستُ من حُدّاثه؛ فخرج الحاجب فقال: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، قلت له: إن أميرالمؤمنين استيقظ وقال لي: انظر هل ترى أحداً من حداثي؛ قال: إني لست من حداث أمير المؤمنين؛ قال عبد الملك بن مروان: ذلك سعيد بن المسيب؛ دعه.

وكان من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه فيروى ابن سعد في الطبقات عن طلحة الخزاعى قال (كان في رمضان يؤتى بالأشربة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليس أحد يطمع أن يأتي سعيد بن المسيب بشراب فيشربه فإن أتى من منزله بشراب شربه وإن لم يؤت من منزله بشيء لم يشرب شيئا حتى ينصرف) أما طعامه فهو بسيط يشمل في الغالب خبزا وزيتا ولما حبس صنعت ابنته طعاما كثيرا فلما جاءه أرسل إليها قائلا (لا تعودى لمثل هذا أبدا فهذه حاجة هشام بن إسماعيل يريد أن يذهب مالى فأحتاج إلى ما في أيديهم وأنا لا أدرى ما أحبس فانظرى إلى القوت الذي كنت آكل في بيتى فابعثى إلى به).

ومن أقواله الرائعة :

(من استغنى بالله افتقر الناس إليه).

وقوله: (الدنيا نذلة وهى إلى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها).

إن هذه المعانى الغالية لهى خير دواء لهذه المادية التي خيمت على كل شيء في حياتنا وأردت الكثيرين منا وأخلدتهم إلى الأرض فضاعت من حياتهم كل فضيلة وصاروا لا يفهمون إلا لغة الدينار والدرهم فلم يحصدوا من وراء كل هذا إلا القلق والحيرة والشك واستعصت عليهم السعادة الحقيقية فكانوا بمنأى عنها.

مواقف من حياة سعيد من المسيب :

لا تأخذك في الله لومة لائم :

تجلت هذه القاعدة في حياة سيد التابعين في أكثر من موقف ونطق بها لسان حاله في كل لحظة من لحظات أيام عمره المباركة، فكان الواثق بالله الذي لا يحابى في الحق أحدا ولا يرده ما يتخمض عن ذلك المنهج من تبعات، فهانت عليه نفسه في الله كما قال عمران بن عبد الله: (أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب)

لم يزد على كلمة (لا):

ومن مواقفه الشهيرة في ذلك قصه تزويج ابنته وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لابنه الوليد حين ولاه العهد، ويذكر المؤرخون: أنه أرسل موكبا كبيرا على رأسه مندوب خاص نزل المسجد، ووقف على حلقة سعيد فأبلغه سلام أمير المؤمنين، وأنه قدم يخطب إليه ابنته لابنه الوليد ولى العهد، وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله، ولكنه لم يزد على كلمة (لا).

وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبى وداعة افتقده أياما فلما عاد إليه قال له سعيد: أين كنت؟ فقال: توفيت زوجتى فانشغلت بها. قال سعيد: فهلا أخبرتنا فشهدناها، ثم أراد التلميذ أن يقوم فقال سعيد: هل أحدثت امرأة غيرها؟ قال يرحمك الله، ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سعيد: إن أنا فعلت تفعل؟ قال: نعم فأمر بالشهود وكتابة العقد قال ابن أبى وداعة: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، وصرت إلى منزلي، وجعلت أفكر ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب. وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزا وزيتا، وإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد ففكرت في كل إنسان

اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنه إلا ما بين بيته والمسجد فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، وظننت أنه بدا له فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلى فأتيتك، قال: لا أنت أحق أن تزار، قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران، فجاؤوني وقالوا: ما شأنك؟ قلت: زوجني سعيد بن المسيب ابنته، وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار، فنزلوا إليها وبلغ أمي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج.

لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار:

وكان رحمه الله يقول (لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم).

تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب؟ :

وعن المطلب بن السائب قال كنت جالسا مع سعيد بن المسيب بالسوق فمر بريد لبنى مروان فقال له سعيد من رسل بنى مروان أنت؟ قال نعم قال فكيف تركتهم؟ قال بخير قال تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب؟ قال فاشرأب الرسول فقمت إليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق ثم قلت لسعيد يغفر الله لك تشيط بدمك بالكلمة هكذا تليقها قال اسكت يا أحمق فوالله لا يسلمنى الله ما أخذت بحقوقه.

والله لا يقتدي بي أحد من الناس:

وعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد وكتب بالبيعة لهما إلى المدينة وعامله يومئذ عليها هشام بن إسماعيل فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا وأبى سعيد أن يبايع لهما وقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل له ادخل واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي أحد من الناس فضربه هشام ستين سوطا

وطاف به في تبان من شعر وسجنه فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول سعيد! كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه.

ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة:

وقيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك قال والله ما أدرى إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصل صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها فأخذت كفا من حصى فحصبته بها زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة.

أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليّ؟! :

قال عبد الرحمن بن عبد القاري لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان بالمدينة بعد موت أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تعتزل مقامك؛ قال: ما كنت لأغير مقاماً قمته منذ أربعين سنة، قال: تخرج معتمراً، قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية، قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع، قال: أرأيت إن كان الله أعمى قلبك كما أعمى بصرك فما عليّ؟! قال: وكان أعمى؛ قال رجاء: فدعاه هشام بن إسماعيل أمير المدينة إلى البيعة فأبى فكتب فيه إلى عبد الملك فكتب إليه عبد الملك: ما لك ولسعيد؟! ما كان علينا منه شيء نكرهه! فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه تبان شعر وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس.

ذلك سعيد بن المسيب؛ دعه. :

عن ميمون بن مهران أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة فاستيقظ من قائلته، فقال لحاجبه: أنظر هل ترى في المسجد أحداً من حُدّاثي؟ فلم يرَ فيه إلا سعيد بن المسيب، فأشار إليه بأصبعه، فلم يتحرك سعيد؛ ثم أتاه الحاجب فقال: ألم تر أني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ فقال: استيقظ أمير المؤمنين فقال: أنظر هل ترى في المسجد أحداً من حداثي؟ فقال سعيد: لستُ من حُدّاثه؛ فخرج الحاجب فقال: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، قلت له: إن أميرالمؤمنين استيقظ وقال لي: انظر هل ترى أحداً من حداثي؛ قال: إني لست من حداث أمير المؤمنين؛ قال عبد الملك بن مروان: ذلك سعيد بن المسيب؛

دعه.

هذا فقيه الناس:

وفى سنة 91هـ حج الوليد بالناس فلما اقترب من المدينة أمر عامله عليها عمر بن عبد العزيز أشرافها فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوى فلم يبق بهد أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرجه وعليه ثياب لا تساوى خمسة دراهم فقالوا له تنح عن المسجد أيها الشيخ فإن أمير المؤمنين قادم فقال والله لا أخرج منه فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه ويصلى ههنا وههنا ويدعو الله عزوجل قال عمر بن عبد العزيز وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه فحانت منه التفاتة فقال من هذا؟! أهو سعيد بن المسيب؟ فقلت نعم يا أمير المؤمنين ولو علم أنك قادم لقام إليك وسلم عليك فقال قد علمت بغضه لنا فقلت يا أمير المؤمنين إنه وإنه وشرعت أثنى عليه وشرع الوليد يثنى عليه بالعلم والدين فقلت يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعتذر له - فقال نحن أحق بالسعى إليه فجاء فوقف عليه فسلم عليه فرد عليه سعيد السلام ولم يقم له ثم قال الوليد كيف الشيخ؟ فقال بخير والحمد لله كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد بخير والحمد لله وحده ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز هذا فقيه الناس فقال أجل يا أمير المؤمنين [1].

فإنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد:

قال يحيى بن سعيد: دخلنا على سعيد بن المسيب نعوده ومعنا نافع بن جبير

(1) مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد 5 / 119، طبقات خليفة، ترجمة رقم 2096، تاريخ البخاري 3 / 510، المعارف 437، المعرفة والتاريخ 1 / 468، الجرح والتعديل القسم الاول المجلد الثاني 59، الحلية 2 / 161، طبقات الفقهاء للشيرازي 57، تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول 219، وفيات الاعيان 2 / 375، تهذيب الكمال ص 505، تاريخ الاسلام 4 / 4
و 188، تذكرة الحفاظ 1 / 51، العبر 1 / 110، تهذيب التهذيب 2 / 28 آ، البداية والنهاية 9 / 99، غاية النهاية ت 1354، تهذيب التهذيب 4 / 84، النجوم الزاهرة 1 / 228، طبقات الحفاظ للسيوطي 17، خلاصة تهذيب التهذيب 143، شذرات الذهب 1 / 102، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعيين، محمد بدر الدين، سعيد بن المسيب.

فقالت أم ولده: إنه لم يأكل منذ ثلاث فكلموه فقال نافع بن جبير: إنك من أهل الدنيا ما دمت فيها، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم، فلو أكلت شيئاً قال: كيف يأكل من كان على مثل حالنا هذه؟! بضعة يذهب بها إلى النار أو إلى الجنة، فقال نافع: ادع الله أن يشفيك فإنَّ الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد.

رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات! :

كان سعيد بن المسيب أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا؛ قال له رجل: رأيت كأن عبد الملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أربع مرات! فقال: إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء.

ولئن صدقت رؤياه ليقتلنه عبد الملك بن مروان:

وقال له آخر: رأيت كأني أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض ثم بطحته فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد؛ فقال: ما أنت رأيتها! ولكن رآها ابن الزبير؛ ولئن صدقت رؤياه ليقتلنه عبد الملك بن مروان ويخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة.

رأيتني أبول في يدي:

وقال له آخر: رأيتني أبول في يدي فقال: تحتك ذات محرم، فنظر فإذا امرأته بينها وبينه رضاع.

من أقوال سعيد بن المسيب :

إن الدنيا نذلةٌ، وهي إلى كل نذلٍ أمْيَلُ، وأنذلُ منها مَن أخذَها بغيرِ حقِّها وطلبَها بغيرِ وجهِها ووضعَها في غيرِ سبيلِها.

قال بكرُ بنُ خنيسٍ: قلت لسعيدِ بنِ المسيبِ وقد رأيتُ أقواماً يصلّون ويتعبدون: يا أبا محمدٍ ألا تتعبدُ مع هؤلاءِ القومِ؟ فقالَ لي: يا ابنَ أخي إنها ليست بعبادة[1]، قلتُ لهُ فما التعبدُ يا أبا محمد؟! قال: التفكرُ في أمرِ اللهِ والورعُ عن محارمِ اللهِ وأداءُ فرائضِ الله تعالى.

(1) أي ليست بعبادة كاملة أو ليست بأفضل العبادات.

كان فتية من بني ليث عباداً وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد ولا يزالون يصلون حتى يصلى العصر، فقال صالح بن محمد بن زائدة لسعيد بن المسيب: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى عليه هؤلاء الفتيان! فقال سعيد: ما هذه العبادة ولكن العبادة التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى.

عن مالك أن رجلاً جاء إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعنَّ فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع.

ورأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلبه خشعت جوانحه.

قال سعيدُ بنُ المسيب: ما أكرمتِ العبادُ أنفسَها بمثلِ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا أهانتْ أنفسَها بمثلِ معصيةِ اللهِ، وكفى بالمؤمنِ نُصرةً من اللهِ أن يرى عدوَّه يعملُ بمعصيةِ الله[1].

عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: أصلحْ قلبك والبس ما شئت.

قال سعيد بن المسيب: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضله أكثر من نقصه وُهب نقصه لفضله.

قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص.

وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.

قال سعيدٌ بن المسيب: ما أيِسَ الشيطانُ من شيءٍ إلا أتاه مِن قِبَلِ النساء!

* * *

(1) أي يكفيك أن ترى من ظلمك عاصياً لله بذلك الظلم أو بغيره من المعاصي وأنه مخذول بذلك ومحروم من عصمة الله له منه، وأنه متعرض لسخط الله عليه وانتقامه منه.